اللغو والعي وهو في ذكر معنى استماع النوبة بالأشعار من أصوات الغناء، فقال

ثلاثة أحرزوا فينا بفطنتهم ... ما ليس يدفعه علم ولا أدب

أصوات أوتار تسايرها ... على إقامة ما أمرها له الطرب

فالشعر صاغ لنا ميزان صنعته ... من الخليل فلا عيب ولا عتب

وللغناء بوزن الشعر تسوية ... كما يشف في ميزانها الذهب

فعرفنا بوضع الوصل له ... إيقاع حزن به يستجمع الطرب

مختار من بديع فصاحة البلغاء، وصنيع بلاغة الفصحاء،

في وصف الزمن الوفاء، والصنيع السليم النقاء،

ومن بعض البلغاء ذكيا فقال فلان يعلم من مفتتح الكلام خاتمته، ومن بديه عاقبته، وفلان له بصيرة حاضرة، وروية مصادفة، كل علم في سكانه، وكل دواء في مكانه، وفلان له رأي كامل، وفطنة تنجم مشرق حضر في عارض مشكل وأمر معضل، له فؤاد على الدراية، واشد من الجهالة والغواية، وفلان عرف مشكل الأمر مشكول، ومعضل الخطب مدخول، اخرج من قول حبيب ابن أوس

ترى الحادث المستعجم الخطب معجما ... لديه ومشكولا إذا كان مشكلا

ومن حارثة الناطق في جعفر بن يحيى

بديهته وفكرته سواء ... إذا اشتبهت على الناس الأمور

وصدر للهم فيه اتساع ... إذا ضاقت من الهم الصدور

وأحزم ما يكون الدهر رأيا ... إذا عجز المشاور والمشير

ووصف رجل عضد الدولة فقال له وجه فيه ألف عين وفم فيه ألف لسان وصدر فيه ألف قلب ووصف سهل بن هارون رجلا فقال ما رأيت أكثر فهما بجليل ولا أحسن تفهما لدقيق منه ووصف أبا خزيمة الكاتب وشابا يعلم ما يكتب على كمه الكم فقال إذا أخذ الصاحب غرض بيانه على كمه كمه وقعد منه على المراد ورضي بإبانة النباء عن ذنوب الغموض في المراد حتى كان له بكل شعرة من بدنه واعيا مصغيا باذنه وذلك لعمري كالرقم على بسيط الماء أو كالنقش على الهواء بالهباء، ومن عجيب أمره أنه في الفهم حيث أقول في غيره

وأحلى منطق مسمعه ... هماع من الفهم الشفيق

حلو

١٠٢

حلو نعم السرور في عصره ... لانقلب حيا ولم يفق

وممن اعتذر خالد بن يزيد الجهضمي عن فهمه بقوله

فكم حزنا إذا جالست معشرا ... يخوضون في بعض الحديث واصلا

وما ذاك من عي ولكن من جهالة ... ولكنه ما في الصوت مسبلا

فكان من سني السمع فاته نادر ... علي فيجده وانه بالعقل اسلك

ومن أبو سعيد علا ما بالذكاء فقال كان يعرف المراد بالنحنحة كما يعرف باللفظ ويعاين في الشاكل ما يجي في الخواطر أخفى ما الذي داعبه من مواصلة من بيرانه من كافيه الفهم يعتبط عن البلاغة وكم يوجد الى ذلك سيراكي

وقال أبو نواس يصف نفسه في محبة محرومه بالذكاء

ومستكبر رضع الحروف بطرفه ... إذا ما انتشى من لينة مضض الغضا

إذا جعل النحنحة الخفي كلامه ... جعلت له عيني لتفهم أذنا

ووصف أعرابي رجلا بالذكاء فقال يعرف بالفراسة ما لم يعرف بالتجربة وبالقيافة ما تعجز عنه القافة ويبلغ بالخطرة ما لا يبلغ صاحب الفكرة وقال الشريف الرضي يصف أخا لا ما يبرح صاحبه الذي يغني الحقيقة

في صاحب لا غاب عني شخصه ... أبدا وكانت شعرتا بودادي

فكأن بين قلوبنا كان قد نما ... من فيه ما جسم فكري في فؤادي

وكان الناس عيال في الذكاء على زياد بن أبيه حكي عنه أنه كان يوما جالسا في مجلس عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأملى عمر على كاتبه كتابا سرا فكتب الكاتب خلافه فقال زياد يا أمير المؤمنين انه كتب على خلاف ما أمليته عليه فتناول عمر الكتاب فوجده كما قال زياد فقال عمر لزياد من أين علمت هذا قال رأيت رجع فيه وحركة فمه فلم أرهما يتفقان

الفصل الثاني من الباب السابع في ذكر براهين الأذكياء البديعة وأجوبتهم المعجمة السريعة

قالوا البديهة قوة روحانية في جبلة بشرية كما أن الروية صورة بشرية في جبلة روحانية ويقال بالأخص أن في البديهة تفاضلت العقول ويقال ميسور القول عن البديهة أحسن من الاكتساب بعد التمكن

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)